الأديبة الناقدة
السيدة سكينة بنت الحسين[1]

بقلم : الدكتورة بهيجة باقر الحسني
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

هي من عائلة خصت بخمس[2] :

« بصباحة ، وفصاحة ، وسماحة ، ورجاحة ، وحظوة » .

فلا غرابة من أن تعقد لها امامة النقد في عصرها ، وأن يحتكم اليها الشعراء والرواة ، تؤهلها شاعرية فذة ، وثقافة واسعة ، وألمعية فياضة ، وذوق رفيع ، وحس مرهف ، ووجدان صادق ، وقلب واسع ، ولسان فصيح ، وخلق هاشمي نبيل .. وهذا مدعاة فخر واعتزاز واكبار واجلال .

فمجالسة الشعراء إياها لا يقدح بالسيدة سكينة ، ولا ينال من خلقها الهاشمي الرفيع ، ولا يقلل من مركزها الاجتماعي العالي كما يعتقد بعض المتعصبين من الشيعة ، فهذا الاصبهاني يصرح في كتابه الاغاني قائلا[3] :

« كانت سكينة عفيفة ، سلسة ، برزة من النساء ، تجالس الاجلة من قريش ، وتجتمع اليها الشعراء ، وكانت ظريفة مزاحة » .

ونضيف ما قاله ابن خلكان :[4]

« كانت سيدة نساء عصرها ، ومن أجمل النساء وأظرفهن ، وأحسنهن اخلاقا » .

ان ظاهرة احتكام الشعراء للمرأة ليس بالشيء الجديد في المجتمع العربي ، فقد سبق ان احتكم أمرؤ القيس وعلقمة الفحل الى أم جندب فأصدرت حكمها في قصيدتي الشاعرين[5] .

فلا عجب من أن تتبوأ الهاشمية الاديبة سكينة امارة النقد في عصرها .

« نقدها شعر الفرزدق وجرير وكثير ونصيب وجميل » .

« حدث حماد الراوية عن بعض أهل الكوفة ، قال[٦] :

خرجت حاجا فأتيت منزل سكينة ابنة الحسين مسلما عليها ، معظما لحقها ، فألفيت ببابها الفرزدق وجرير وكثير عزة وجميل . والناس مجتمعون ما بين مقتبس من علمهم ، وناظر اليهم . فلم ألبث الا يسيرا حتى خرجت جارية لها ، عليها قميص كان شعاع الشمس فيما بين جلدها وقميصها ، واذا هي بيضاء عيطبول[٧] ، لم يشمها قصر ولا طول ، فقالت :

ـ سيدتي تقرأ عليكم السلام ، وتقول لكم :

أين الفرزدق ؟

فقال : ها أنا ذا !

قالت : تقول لك سيدتي : أنت القائل[٨] :

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتا دعائمه أعز وأطولُ

بيتا بناهُ لنا المليك وما بنى ... ملك السماء فأنه لا ينقلُ

(من بحر الكامل)

وأنت القائل[٩] :

هما دلتاني من ثمانين قامةً ... كما أنقض باز أقتم الرأس كاسره

فلما استوت رجلاي في الارض نادتا

أحيٌ يرجى أم قتيل فحاذره

فأصبحت في القوم القعود وأصبحت

مغلقة دوني عليها دساكرُهْ

(من بحر الطويل)

قال : نعم ! أنا القائل .

قالت : سوءة لك ! قضت حاجتك ، وأتت مسرتك ، ثم أخبرت عنها وعن نفسك ، وهتكت سترها ، هتك الله سترك » .

وذكر المرزباني[١٠] أنها قالت :

سوءة لك ! أما استحييت من الفحش ، تظهره في شعرك ؟ ألا سترت عليها ؟! أفسدت شعرك » .

* * *

يظهر لي ان السيدة سكينة في ملاحظتها هذه ، قد ثبتت أسس النظرية القائلة :

« ان للشعر قيمة خارجية ، ذات نتائج خلقية واجتماعية » .

ترى ما الجو الاجتماعي الذي أحدثته تلك القصيدة ؟ وما أثرها في المجتمع الاسلامي يومذاك ؟

تخبرنا كتب الاداب[١١] :

أن الفرزدق نظم القصيدة وهو بالمدينة ، فأنكرت ذلك قريش عليه ، وذهبوا الى مروان بن الحكم الاموي ، والي المدينة ، فقالوا له :

ما يصلح أن يقال مثل هذا الشعر بين أزواج رسول الله (ص) ، وقد أوجب على نفسه الحد .

فقال مروان : لست أحده أنا ، ولكن أكتب الى من يحده .

ثم أمره بالخروج من المدينة ، وأجله ثلاثة أيام .

فقال الفرزدق :

توعدني وأجلني ثلاثا كما وعدت لمهكلها ثمود

ثم كتب مروان الى عامله يأمره فيه أن يحده ويسجنه . وأوهمه أنه قد كتب له بجائزة . ثم ندم مروان على ما فعل ، فوجه عنه سفيرا وقال : إن قلت شعرا فأسمعه ، ثم أنشد :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ... إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس
ودع المدينة إنها مرهوبة ... وأقصد لمكة أو لبيت القدس
واذا اجتنيت من الامور عظيمة ... فخذن لنفسك بالدفاع الاكيس

ولما وقف الفرزدق على الابيات ، فطن لِما أراد مروان ، فرمى الصحيفة وقال :

يا مرو إن مطيتي محبوسة ... ترجو الحباء ، وربها لم ييأس
وأتيتني بصحيفر مختومةٍ ... أخشى عليّ بها حباء النفرس
ألقِ الصحيفة يافرزدق لا تكن ... نكداء مثل صحيفة المتلمس

لقد آل حال الفرزدق كحال المتلمس بعد تلك الليلة الليلاء . ولما بلغت جريرا القصيدة ، قال هاجيا الفرزدق[١٢] :

لقد ولدت أم الفرزدق فاجرا ... فجاءت بوزواز قصير القوام
يوصل حبليه إذا جن ليله ... ليرقى الى جاراته بالسلالم
تدليت تزني من ثمانين قامة ... وقصرت عن باع العلا والمكارم
هو الرجس ياأهل المدينةفاحذروا ... مداخل رجسٍ بالخبيثات عالم
لقد كان إخراج الفرزدق عنكم ... طهورا لما بين المصلى وواقم

نستشف من الاخبار أن وصف الفرزدق لمغامرته الغرامية تلك في شعره ، أحدث ضجة سيئة في المجتمع الاسلامي يومذاك دفع ثمنها الفرزدق غاليا ، اذ كابد من جرائها ما كابد من مشاكل وحزازات وتنغيصات أعقبتها غصّة في فمه ، ومرارة وندم ، فقال وهو على راحلته خارجا من المدينة :

قاتل الله ابن المراغة .كأنه كان ينظر إلي حيث يقول[١٣] :

وكنت إذا ترلت بدار قومٍ رحلت بخزيه وتركت عارا

والواقع ان ملاحظة سكينة النقدية لشعر الفرزدق في وصفه لتلك المغامرة الجريئة التي فضح فيها سر التي جادت عليه بما جادت من لذة محرمة ، أودت بشرفه ، وأراقت ماء وجهه ، وعرضته لعقوبة الحبس والجلد .. تنطلق من منطلق أخلاقي انساني بناء لاعتقادها :

ان الشاعر ملك المجتمع والشعب ، والشعر ليس لهوا فرديا خالصا يعبر فيه الشاعر عن عواطفه الذاتية ، وانما هو نور لعقل الشعب وقلبه وروحه .

* * *

قال (حماد) :

ولم تلبث الجارية إلا يسيرا حتى خرجت فقالت .

أيكم جرير ؟

فقال : ها أنا ذا !

قالت : تقول لك سيدتي : أنت القائل :[١٤]

يا أم ناجية السلام عليكم قبل الرحيل ، وقبل لوم العذل

وإذا غدوت فباكرتك تحية" سبقت سروح الشاحجات الحجل

لو كنت أعرف أن آخر عهدكم يوم الرحيل ، فعلت مالم أفعل

قال : نعم أنا القائل لهذا .

قالت : غفر الله لك يا أبا حرزة » .

* * *

إن السيدة سكينة لم تعلق على الابيات هذه ، مما يدفعنا الى أن نأخذ مكانها في العرض والتعليق والتنقيب والنقد .

ذكر ابن خلكان[١٥] أنه « قيل لابن جرير :

ما كان أبوك صانعا حيث يقول :

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

فقال : كان يقلع عينيه ولا يرى مظعن أحبابه » .

وجعل أبو هلال العسكري[١٦] البيت هذا في « باب غرابة الكلمة لترددها بين معنين أو أكثر بلا قرينة » ثم علق قائلا :

« فوجه الاشتراك في هذا ، أن السامع لا يدري الى أي شيءٍ أشار من أفعاله في قوله : «فعلت ما لم أفعل» .

أراد أن يبكي اذا رحلوا ، أو يهيم على وجهه من الغم الذي لحقه ، أو يتبعهم اذا ساروا ، أو يمنعهم من المضي على عزمة الرحيل ، أو يأخذ منهم شيئا يتذكرهم به ، أو يدفع اليهم شيئا يتذكرونه به ، أو غير ذلك مما يجوز أن يفعله العاشق عند فراق أحبته ، فلم يبن عن غرضه ، وأحوج السامع الى أن يسأله عما أراد فعله عند رحيلهم » .

وأضاف العسكري قائلا :

« وأمارة النقصان في بيت جرير واضحة ، فمن يسمعه وان لم يكن من أهل البلاغة يستبرده ويستغثه » .

* * *

أقول : أنا لا أتفق وأبا هلال العسكري في جعل البيت هذا في قائمة الكلام غير الفصيح ، وفيما علق عليه ... بل العكس أقول :

ان غرابة البيت مستحبة ، وليست من الغث البارد ، كما انها لم تحدث تخلخلا في الجو الشعري للقصيدة ..

يضاف اليه ، ان جريرا ليس بأول عاشق يودع حبيبته حتى نجهل ما كان يريد فعله ... ومن يدري ربما تعمد جرير هذا الابهام والايهام لغرض بلاغي .. هو مشاركة المتلقى في معايشة تلك التجربة الشعورية .. كي ينشط ذهنه ويحرك خياله ، ويؤجج عواطفه وأحاسيسه ليتخيل ما يتخيل من تصورات لا تحدها تخوم .. وكلها حياة وحركة .. وبهذا يعكس المتلقي نفسيته ، متخذا موقفا معينا من هذا الحدث العاطفي المؤلم والحزين .. ويكون قد خلص جريرا وأراحه من لوم اللائمين وغمز الوشاة المغرضين .

والحق أقول : ان كان جرير" قد أخفى عواطفه وكتمها في بيته هذا فانه أفصح عما كان يعانيه من حرقة وألم وعذاب وحقد في الابيات التي تلي البيت اذ صب جام غضبه وسخطه وحقده وألمه على الشعراء جميعا حتى انه أعد لهم سما زعافا يسقيهم اياه ليذيقهم الموت المعنوي ..

أعددت للشعراء سما ناقعا فسقيت آخرهم بكأس الأول

فالبيت أشبه بثورة جريرية .. طلقات مدفع ثم موت ..

وهكذا كشف جرير عما كان يعانيه من ألم الفراق ساعة الوداع ، ثم قالت الجارية لجرير :

« وأنت القائل[١٧] :

سرت الهموم فبتن غير نيام وأخو الهموم يروم كل مرام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الاقوام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام[١٨]

(من بحر الكامل)

قال : نعم ! أنا القائل هذا .

قالت : فسوءة لك . جعلتها صائدة لقلبك حتى اذا أناخت ببابك ألقيت من دونها حجابك ، وقلت :

« ليس ذا وقت الزيارة فأرجعي بسلام » .

ويلك ! وهل تكون الزيارة الا بالليل ؟! ألا رفعت حجابك ، وأخذت بيدها ، وقربت مجلسها ، ولم تردها بحسرتها ، وقلت :

« هذا وقت الزيارة فادخلي بسلام » .

فسؤة لك .

قال : أجل ! فسؤة لي » .

* * *

معروف أن أبيات جرير هذه من الشعر المغنى[١٩] ، ومن الابيات التي استشهد بها مفضلو جرير على الفرزدق ، لسهولة ألفاظها ، ودقة عبارتها[٢٠] .

ومن الغريب ان البلاغيين القدامى لم يفطنوا الى الايحاء النفسي للعبارة (طرقتك صائدة القلوب) .. فهو غير شاعري ـ على ما اعتقد ـ وأقرب في ايحاءاته النفسية الى قول الشاعر[٢١] :

ذكرتك ذكرة فاصطدت ضبا

وكنت اذا ذكرتك لا أخيب

فحبذا لو قال جرير : «طرقتك آسرة القلوب» أو «فاتنة القلوب» أو حتى «خالبة القلوب» أو «جاذبة» .. فوقعها في النفوس أفضل وأجمل ، وايحاؤها أرفع وأعذب ـ على ما أظن ـ .

هذه الابيات الغزلية وضعها ابن سنان الخفاجي[٢٢] تحت قائمة «ما عيب عليه جرير» وذكر تحتها :

«وقيل : أي وقت لا تصلح فيه زيارة الحبيب ؟ ولما طردها ، لم وصفها ؟! » .

وذكر المرزباني[٢٣] :

«فليته اذ كان طردها ما كان وصفها» .

* * *

ان مما لا غبار عليه : ان وصف جرير لتلك الفتاة بعد طردها هو سر جمال البيت وبلاغتـــه .

فالفتاة المطرودة اذن ليست بقبيحة ، ولا بعجوز شمطاء بحيث تدفع الرجل الى العفة والزهد بتلك الزيارة .. وانما هي جمال خلاب ، فهي ذات ثغر وضاء مشرق بابتسامة عذبة تكشف عن أسنان كأنها البرد المتساقط من متـون الغمام ...

هذا الجمال الذي يبهر العيون ، ويأسر القلوب ، ويسيطر على العقول ، ويهز العواصف ، ويفجر الاحاسيس حتى يخرج الزاهد من زهده ، والعفيف من عفته ؛ يرفضه جرير البطل .. اذ لم يستخفه ذلك الجمال ، ولم تخنه عفته ورزانته حينما فاجأته تلك الحسناء المغرية بزيارة .. بل بطهر الزهاد وورعهم وتقواهم ردها من حيث جاءت ، سالمة ولكن ليست غانمة .. في الوقت الذي يتدلى فيه الفرزدق من ثمانين قامة لـ ...

أما قيمة ملاحظة سكينة النقدية للابيات هذه ، فأنها لا تتعدى حدود التعاطف مع تلك الفتاة الحسناء الفاتنة التي داست كبرياءها بعد ان خانتها عفتها ورزانتها ، فضعفت أمام عاطفتها .. فسعت اليه متجشمة المخاطر ، ولوم المخاوف والوساوس ، وهي بين الامل المشرق ، واليأس القاتل المعتم .. فيغلق جرير قلبه ، ويوصد بابه بوجهها ، فيخيب أملها ، ويردها فاشلة يائسة ...

فاعتبرت سكينة موقف جرير هذا شاذا وغير متوقع .. كأنه أفصح عن قسوته .. كان عليه أن يستقبلها بحرارة وبلهفة وشوق معبرا عن تلك الفرحة المفاجئة ، ويغمرها بالحب والدفء والحنان ... مغتنما تلك الفرصة ...

ولكن أنى لجرير هذا ؟! فأن لم يطرد الحسناء جرير ، ترى من الذي يطردها اذن ؟!!

وحدث حماد قائلا :

وخرجت الجارية ثانية ، « فقالت :

أيكم كُثير عزة ؟

قال : ها أنا ذا !

قالت : تقول لك سيدتي : أنت القائل :

أراعي نجوما في السماء كأنني ... أوكل باللاتي تغيب وتطلع

إذا ما بدا نجم يلوح بناره ... فغير لي قلبي ، فقلبي مروع

شفيق فمن طول اشتياقي الى المنى ... سبتني فعيني تستهل وتدمع

(من بحر الطويل)

قال : نعم ! أنا القائل هذا .

قالت : غفر الله لك ولقومك ، ولا كتب عليك بهذا الكلام بسيئة أبدا .

وأنت القائل[٢٤] :

وكنت كذي رجلين: رجل صحيحة ... ورجل رمى فيها الزمان فشلت

وكنت كذات الظلع لما تحاملت ... على ظلعها بعد العثار استقلت

هنيئا مريئا غير داء مخامر ... لعزةمن أعراضنا ما استحلت[٢٥]

فما أنا بالداعي لعزة بالردى ... ولا شامت إن نعل عزة زلت

(من بحر الطويل)

قالت : غفر الله لك ولقومك ولا كتب عليك بهذا الكلام بسيئة أبدا .

وأنت القائل[٣٦] :

وأعجبني ياعز منك خلائق ... كرام اذا عد الخلائق أربع
دنوك حتى تذكري العاشق الهوى ... ونقدك أسباب الهوى حين يطمع
لزمت لنا بالبخل منك طريقة ... فليتك ذا لونين يعطي ويمنع

(من بحر الطويل)

قال : نعم ! أنا القائل هذا .

قالت فسؤة لك . جعلتها ذات لونين تعطي من يستحق المنع ، وتمنع من يستحق الاحسان والعطية .

قال : نعم ! فسؤة لي . »

* * *

من الواضح ان استجادة سكينة واستحسانها لابيات كثير الاولى ، يتأتى من وازع اخلاقي تجاوبت أصداؤه في تلك الابيات .. اذ أظهرت كثيرا عاشقا وديعا مخلصا متفانيا في حب عزة .. مهما صدت ومهما بخلت ومهما تمنعت .. فهو لا يزال العاشق المتسامح وليس بالحاقد الداعي عليها ، ولا بالشامت بها اذا ما زلت نعلها .. فهنيئا لعزة الحياة والحب .

فشتان ما بين حب كثير لعزة واخلاصه وبين لؤم جنادة الشاعر العاشق وحقده ، اذ قال داعيا لحبيبته الموت ليتخلص من حبها[٣٧] :

من حبها أتمنى أن يلاقيني ... من نحو بلدتها ناع فينعاها
لكي يكون فراق لا لقاء له ... وتغمر النفس يأسا ثم تسلاها

أما سبب غضب سكينة لقول كثير :

«لزمت لنا بالبخل منك طريقة» وفي رواية اخرى «أدمت ..» كون جعله عزة «تعطي من يستحق المنع ، وتمنع من يستحق العطاء» تريد ماجعلتها بخيلة تعرف بالبخل ، ولا سخية تعرف بالسخاء ..

وأقول أنا : ان بيت كثير هذا هو بيت القصيد .. فكثير سبر غور نفسية حبيبته عزة ، فعرف حقيقتها ، فهي تريد ولا تريد ، تمنح وتمنع ، تجود وتبخل ، تحب وتكره ، تحسن وتسيء ، تعد وتخلف ... وقلب كثير معلق بين السماء والارض ، بين الامل واليأس ، عين دامعة وأخرى باسمة .. فعزة غريرة وليست بالمحبة المخلصة كي تمنح كثيرا الحب فيحلق على جنح غيمة .. وانما هي بخيلة ضنينة متشددة في الجفاء والتمنع والصد ... فلا ضير من أن يتمنى كثير لها أن تكون لعوبا يصيبه منها حبها ووصلها كما يصيبه منها منعها وجفاؤها .

علما بأن هناك رواية اخرى للخبر تناقض هذه الرواية وهي قول سكينة لكثير «ملحت وشكلت»[٢٨] .

ولم تلبث الجارية الا يسيرا حتى خرجت على ما يخبرنا حماد : « فقالت :

أيكم جميل ؟

فقال : ها أنا ذا !

قالت : تقول لك سيدتي : أنت القائل[٢٩] :

أيا من أجاب العبد أيوب إذ دعا ... وكان طويل ليله يتململ

ويا من دعاه يونس فأجابه ... لدي ظلماتٍ جوف حوتٍ يهلل

ويا من فدى اسحاق منه برحمة ... ورد الى يعقوب ما كان يأمل

علي إلهي رد من قطع الهوى ... فأني به في كل يوم أوكل

والا فموتا ان في الموت راحة ... وفي الموت راحات لمن كان يعقل

(من بحر الطويل)

قال : نعم ! أنا القائل هذا .

قالت : قد رأى الله مكانك يا مسكين ، ولقد أكثرت التضرع الى ربك حين قلت : يا مَنْ ، يا مَنْ .

وأنت القائل[٣٠] :

لقد ذرفت عيني وطال سجومها وأصبح من نفسي معنى صحيحها
فلا أنا أرجو أن نفسي صحيحة ولا الموت فيما قد شجاها يريحها
ألا ليتنا نحيا جميعا وان نست يجاور في الموت ضريحي ضريحها
فما أنا في طول الحياة براغب اذا قيل : قد سوى عليها صفيحها
أظل نهاري مستهاما ويلتقي لدى الليل روحي في المنام وروحها

(من بحر الطويل)

قال : نعم ! أنا القائل هذا .

قالت : غفر الله لك ولقومك يا أخا عذره . ولا كتب عليك بهذا الكلام سيئة أبدا . وأنت القائل[٣١] :

ألا ليتني أعمى أصم تقودني بثينة لا يخفى عليّ مكانها

(من بحر الطويل)

قال : نعم ! أنا القائل هذا .

قالت الجارية : تقول لك سيدتي :

أرضيت من الدنيا وعيشها ونعيمها أن تكون أعمى أصم الا انه لايخفى عليك كلام بثينة .

قال : نعم .

فدخلت الجارية فأخبرت مولاتها بما سمعت من لفظه ، فلم تلبث الا يسيرا حتى خرجت الجارية ومعها كيس فيه ألفا درهم ، ومنديل فيه أصناف ، فقـــالت :

تقول لك سيدتي أقطع لك هذه الثياب ، وانفق هذه الدراهم ، فاذا ما تعدت فائتنا ، فان لك عندنا المواساة » .

* * *

ان ملاحظة السيدة سكينة النقدية لجميل ـ سيد العـذريين ـ أشبه بمؤاساة وتعاطف .. لانها ترى في حب جميل لبثينة الايمان بقداسة الحب وبراءته .. فكأنه الشعلة المقدسة التهبت في قلبه فرفعته عن شهوة الجسد ولذته ، فسما في عالم الروح والعلاء العاطفي .

فشعر جميل يرينا قلبا بريئا طفلا صغي الوداد ، وروحا طاهرة الاماني، وأصداء انسانية نبيلة ، وهذا سر اعجاب سـكينة بشعره ، ومكافأتهـا اياـــاه ...

* * *

أما نحن فلا نرى في شعر جميل الا عالما ذاتيا محدودا ضيقا محصورا في اطار بثينة ، فهو لا يستطيع أن ينطلق بنا الى عوالم انسانية واسعة ، وينفذ بنا الى الاحساس الشامل بالحياة .

والا ما العوالم الانسانية الخلاقة التي يمدنا بها قوله :

ألا ليتـني أعمى أصـم تقودني بثينـة لا يخفى علـيّ مكانهـا

فالصورة ـ على ما أعتقد ـ موغلة بالغفلة والسذاجة واليأس القاتل ، والانهيار النفسي المقيت ، والتخاذل المرفوض حتى أرتنا جميلا كأنه الحي الميـت .

فلا عجب أن اعترضت بثينة على معنى جميل هذا فعاتبته قائلة[٣٢] :

« ويحك ! ما حملك على هذا المعنى ؟! أو ليس في سعة العافية ما كفانا جميعـــا ؟! » .

ويذكر الوشاء ان جميل سرق هذا المعنى من مجنون ليلى القائل[٣٣] :

لو كنت أعمى أخبط الارض بالعصا أصـم ، فنادتني أجبت المنـاديا
وأشهد ، عند الله ، أني أحبهـا فهذا لها عندي ، فما عندها ليا؟!

ان مجنون ليلى نجح كل النجاح في صورته هذه ، اذ عرض حبـــا خلاقا .. يبصر الاعمى ، ويسـمع الاصم ، وينطـق الاخرس ، ويحـرك الكســـيح ...

ويذكر المرزباني[٣٤] :

ان الشعراء فضلوا بيتي العباس بن الاحنف على بيت جميل ، وهما :

ألا ليتني أعمـى اذا حيل دونها وتنشـا لنـا أبصارنا حين نلتقي
أضن عن الدنيـا بطرفي وطرفهـا فهل بعد هذا من فعـال بمشـفق

ولا أدري كيف استطاع الاقدمـــون ان يتذوقوا الصـور الموغلـة بالعذاب النفسي والجسدي ليثبت العاشق ـ بالدليل المادي ـ نصاعة حبـه وشدته واخلاصه وتفانيه .

فهذا كثير يقدم لنا عرضا جديدا للعاشق الذي يتمنى أن ينفرد بحبيبته عزة ولو بأسوأ حالة وأذلها ، قال [٣٥] :

ألا ليتنا يا عـز من غير ريبـة بصيران نرعى في خلاء ونعـزب
كلانا بـه عـرٌ فمـن يرنا يقـل على حسنها جرباء تُعدي وأجرب
نكون لذي مـالٍ كثيرٍ مغفـل فلا هو يرعـانا ولا نحـن نطلب
إذا مـا وردنا منهـلا هاج أهلـه إلينـا فلا تنفك نُرمى ونُضرب

فالصورة لا تثير فينا سوى السخرية والاستهزاء والضحك .. وقد أدركت عزة المأساة هذه فعاتبت كثيرا قائلة[٣٦] :

« لقد أردت بي الشقاء الطويل ، ومن المنية ما هو أوطأ من هـذه الحـال » .

هذا وان ابن طباطبا العلوي وضع الابيات هذه تحت عنوان «الابيات التي زادت قريحة قائليها على عقولهم »[٣٧] .

ترى ما السر في ذيوع هذا النوع من المعنى المخالف لقيم المجتمع الانساني ولقوانين الطبيعة ؟!

ترى لماذا يلجأ كثير الى هذا النوع من الحياة في خياله ؟!

ألا وهو : أن يسخ هو وحبيبته عزة بصورة بعيرين أجربين يخشاهما الناس ويحذرهما ، وهما في حوزة غني مغفل غبي لا يهمه مرضها فيهملهما .. فيهيمان على وجهيهما في البراري ، حتى اذا ما وردا الماء رماهما النـاس بالحجـارة ...

أليس في تمنى كثير هذا لطمات في جبين الانسانية ! وازدراء للبشرية التي رفضها بأباء وشمم مفضلا الحياة بصورة بعير أجرب لينعم بحياة الحب والالفة والمودة والحنان التي تفتقر اليها الحياة البشرية ؟!

ولا تعجب أيها القاريء الكريم اذا ما وجدت الفرزدق يهرب مع حبيبته بفكرة كثير التي يبعثها في قصيدة له يقول فيها[٣٨] :

فيا ليتنا كنـا بعيرين لا نرد ... عـلى منهـل الا نشـل ونقـذف

كلانا به عر[٣٩] يخاف قرافه[٤٠] ... على الناس مطلي المساعر[٤١] أخشف[٤٢]

بأرض خـلاء وحـدنا وثيابنـا ... من الريط[٤٣] والديباج درع وملحف

ولا زاد الا فضـلتان سلافـة ... وأبيض من ماء الغمامة قرقف[٤٤]

وأشلاء لحم من حبارى يصيدها ... اذا نحـن شـئنا صاحب متآلق

لنا ما تمنينـا من العيش ما دعا ... هديـلا حمـامات بنعمـان هتف

فالفرزدق يتمنى أن يبعث وحبيبته للحياة بهيئة بعيرين أجربين مطليين بالقار تخاف عدواها الناس فتهرب منهما .. فيذهبان الى أرض خلـــو من البشر لباسهم الريط الفاخر الجميل ، وزادهم لحم الحبارى يصطاده لهـــم ملك الجو ، وشرابهم السلافة الممزوجة بماء الغمام الرقراق العذب .. لينعما بالحرية والحب في عالم رخي مترف لا يعكر صفوه حاجة ، ولا ينغصـــه شظف عيش ، ولا لوم لائم ، وغمز عذول ، وحقد حاسد .

نحصل من هذا : ان الضغط الاجتماعي ، والنظرة العدائية للحـب وللمحبين دفعا كثيرا والفرزدق وشعراء آخرين الى الهروب من الحيـــاة كبشر .. ليعودوا اليها ثانية بشكل حيوانات لينعموا في الحياة ويسـعدوا في ظلال الحب .. حيث تنفتح أبواب الحياة الحقيقية على مصراعيها ، فتتسع النفوس ، وتصبح القلوب غنية ثرة تجود بعطيات لا تنضب ولا تكل ..

ان كل هذا السمو الحياتي بفضل لمسات الحب السحرية التي تشذب الهفوات ، وتصقل النفوس ، وتفجر كوامن الخـــير .. فتعـم الفضيلة ، وينتشر الخـير .

حبذا لو غيرنا نظرة المجتمع الى هذه القلوب المحبة ـ ونحن في القرن العشرين ـ الى نظرة احترام وود وصداقة ليترعرع هذا الحب ويزدهـــر الخير .. وبهذا نكون قد رفعنا من انسانيتنا .

* * *

أما عوانة بن الحكم[٤٥] فأنه روى الخبر بالشكل الاتي : ان الجارية قالـت :

« يا جميل ! مولاتي تقرىء عليك السلام ، وتقـول :

ألا ليت شـعري هل أبيتن ليـلة بوادي القرى انـي اذا لسـعيد
لـكل حديث بينهـن بشاشـــة وكـل قتيـــل بينهـــن شـهيد

جعلت حديثنا بشاشة ، وقتلانا شهداء . خذ هذه الاربعة آلاف درهم، والحق بأهلك . »

* * *

ان ملاحظة سكينة النقدية هذه تتعلق بالصورة الشعرية التي رسمها جميل لحسناوات وادي القرى ، ونظرتهن للحب ؛ اذ شبه أحاديث تلك الفاتنات المغريات ، الخليات البال ، يبهجهن كل حديث يثرثرن فيه ويسرهن حتى يصبح الحديث لفرط رقتهن وعذوبتهن وسحرهن وطفولتهن البشاشة نفسها .. كما يصبح قتيل حبهن وفتنة نظراتهن وسحرهن شهيدا .

لقد أجاد جميل في التعبير عما أراد بهذه الصورة الترفة الثرة المغرية بألفاظ سهلة لينة رشيقة كذوب العسل ..

« ملاحظتنا السيدة سكينة النقدية »

لشعر عروة بن أذينة[٤٦]

يذكر الاصبهاني[٤٧] في ترجمة عروة بن أذينة

« ان السيدة سكينة وقفت على عروة بن أذينة في موكبها ، ومعها جواريها : فقالت :

يا أبا عامر ! أنت الذي تزعم ان لك مروءة ، وأن غزلك من وراء عفة ، وأنك تقي ؟

قال : نعم .

قالت . أفأنت الذي تقول :

قالت وأبثتها وجدى فبحت به : قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي؟ فقلت لها: غطى هواك ، وما ألقى على بصري

قال لهـا : بـلى .

قالت : هن حرائر ان كان هذا خرج من قلب سليم . »

وأضاف الاصبهاني : « أو قالت : من قلب صحيح . »

أما ابن خلكان[٤٨] فيتفق مع المعافري[٤٩] في رواية الخبر بالشـكل الاتـي :

« مرت سكينة بعروة بن أذينة ، فقالت له :

يا أبا عامر ! أأنت الذي يقول :

يا نظرة لي ضرت يوم ذي سلم ... حتى متى لي هذا الضر في نظري

قالت وأبثتهـا سري فبحت بـه ... قدكنت عندي تحت الستر فاستتري

ألست تبصر من حولي؟ فقلت لها: ... غطى هواك وما ألقى على بصري

وأنت القائل :

اذا وجدت أذى للحب في كبدي ... أقبلت نحـو سقاء القـوم أبتردُ

هبـني بردتُ ببرد المـاء ظاهره ... فمن لنـار على الاحشـاء تتقـد

قالت : هُنَّ حرائر ـ وأشادت الى جواريها ـ ان كان خرج هذا من قلب سليم قط» .

أما ابن عبد ربه[٥٠] فيروي الخبر ولكن بلا نسبة مع اختلافات كثيرة .

* * *

فالسيدة سكينة تنفي التقى والورع والعفة التي يدعيها الشاعر .. اذ ما في الابيات التي استشهدت بها تنفي هذا الزعم وتكشف عن شدة حب ولوعة وعذاب وتحرق وشوق تتلظى نيرانها وتستعر في قلب عروة العاشـق حتى استحال على مَنْ أوقدها فيه أن يجعلها بردا وسلاما . .

ان السيدة سكينة تعرض بالعوالم التي نقلها ابن أذينة الى المتلقي .. وتطلب منه أن يفصح عن عواطفه ويعبر عنها بصدق واخلاص كما يرغب في معايشتها وفي تحقيقها في واقع الحيـــاة بلا ثوب رياء مزيف من التقـــوى المدعـــاة ..

وبمعنى آخر ان يعيش عروة الحياة وتجاربها معبرا بصدق بلا ازدواج شخصـية .

* * *

أما الملاحظة النقدية الثانية التي أبدتها سكينة في شعر عروة فهي كما يرويها الاصفهاني[٥١] :

« كان لعروة أخ اسمه بكر ، فمات فرثاه عروة بقوله :

سرى همـي وهـم المـرء يسري ... وغـاب النجـم الا قيـد فتـرِ
أراقـب في المجـرة كـل نجـم ... تعـرض أو على المجـراة يجـري
لهـم لا أزال لـه قرينـا ... كأن القلب أبطـن حـرَّ جمـري
على بكرٍ أخـي ، فارقت بـكرا ... وأي العيش يصـلح بعد بكر ؟!

فلما سمعت سكينة هذا الشعر قالت :

من بكر هـذا ؟

فوصف لها ، فقالت :

أهو ذلك الاسيد[٥٢] الذي كان يمر بنا ؟!

قالوا : نعـم .

قالت : لقد طاب بعده كل شيء حتى الخبز والزيت » .

ويذكر الاخباريون[٥٣] : ان تلك الابيـات قد غناها خالـد بن صامـة للوليد بن يزيد ، فلما انتهى من الغناء ، سأله عن قائلها ، فقيل : عروة بن أذينـــة .

« قال الوليد :

وأي عيش يصلح بعد بكر . والله لقد حجى واسعا . هذا والله العيش الذي نحن فيه يصلح على رغم أنفه » .

* * *

ان الذي يهمنا في الخبر المذكور أعلاه هو تعليق السيدة سكينة .. فانها رفضت كل الرفض ، واستكثرت ما أدعاه عروة من هم قاتل ، وحزن مميت مما دفعه الى نبذ الحياة ورفضها بعد موت أخيه بكر الاسود الدحداح. فالسيدة تستنكر هذه المبالغة والافراط في الحزن على بكر مما دفع عروة الى تجاوز حدود الواقع ، فقالت ساخرة مستهزئة :

« كل شيء يطيب بعده حتى الخبز والزيت » .

ترى ماذا تتوقع من السيدة سكينة أن تقول في بكر ، وهي التي شهدت فاجعة كربلاء والتي تمخضت عن قتل أبيها الحسين ، وأعمامها ، وأولاد عمها ، وأولاد عمتها ... كلهم سقطوا في يوم واحد ـ عليهم السلام ـ . وهي التي قتل زوجها وحبيبها مصعب بن الزبير .. ترى هل أبقت الحياة لها شيئا عزيزا وحبيبا الى قلبها كي تتذوق فيه طعم الراحة والسعادة ، ويبعد فكرة الموت عنها ، ويشدها الى الحياة ؟! كلا وألف كلا !! ترى فهل كان عليها أن تنتحر بعد تلك النكبات ؟! كلا وألف كلا !!

فلا ضير من أن تستخف سكينة وتستهزيء بحزن عروة الشديد على أخيه بكر ، وهي البطلة التي صارعت وتصارع الاسى والالم والحزن على مَنْ أخذت الحياة منهم ظلما ، كي تتغلب عليه مستقبلة الحياة والناس بتفاؤل وصبر وشجاعة وابتسامة ..

* * *

يذكر ابن عبد ربه[٥٤] :

« ان كثيرا عزة دخل على سكينة بنت الحسين ـ عليه السلام ـ فقالت لـــه :

يا ابن أبي جمعة ! اخبرني عن قولك في عزة :

وما روضة بالحزن طيبـة الثرى يسج الندى جثجانها[٥٥] وعرارها[٥٦]

بأطيب من أردان عزة موهنا[٥٧] وقدأوقدت بالمندل[٥٨] الرطب نارها

ويحك ! وهل على الارض زنجية منتنة الابطين ، توقد بالمندل الرطب نارها الا طاب ريحها ؟! ألا قلت كما قال عمك أمرؤ القيس :

ألم تريانى كلمـا جئت طارقـا وجدت بها طيبـا وان لم تطيب »

* * *

علق أبو هلال العسكري[٥٩] على هذين البيتين بقوله :

« ومن المعاني ما يكون مقصرا غير بالغ مبلغ غيره في الاحسان ، كقول كثـير :

وما روضة بالحزن طيبة الرثى .. الخ البيتين .

أما المبرد[٦١] فقد أورد الخبر بروايتين :

الاولى منسوبة الى (بعض الناس) .

والثانية : الى (امرأة مدينية) .

وأورد الخبر الابشيهي[٦١] منسوبا الى عجوز عمياء .

وذكره ابن خلكان منسوبا الى عجوز ـ ولكن ـ ليست عمياء ـ اعترضت كثيرا في الطريق وقد اقتبست نارا في روثة ، فتـــأفف كثير في وجههـــا ، فقـــالت :

قال : كثير عزة .

فقالت : ألست القائل :

فما روضة زهراء طيبة الثرى ... الخ البيتين .

فقال لها كثير : نعم .

فقالت : مَنْ أنت ؟

لو وضع المندل الرطب على هذه الروثة لطيب رائحتها . هلا قلت كما قال امرؤ القيس : ألم تريانى كلما جئت ..الخ البيت .

أود أن أذكر بانني استبعد رواية الخبر بهذه الصورة البائسة ، وأقول : انها من صنع الناس والاخباريين .

أما ابن خلكان[٦٢] فقد أضاف ما سمعه عن بعض مشايخ الادب من تعليق على الخبر هذا « قال :

ان النصف الثاني من البيت الثاني من تتمة أوصاف الروضة أيضا . فكأنه قال :

ان هذه الروضة الطيبة الثرى التي يسج الندي جثجاثها وعرارها (اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها) ما هي بأطيب من اردان عزة .

وعلى هذا لا يبقى عليه اعتراض ، لكنه يبعد أن يكون هذا مقصوده .»

وأورد الخبر المرزباني[٦٣] بروايات ثلاث كلها منسوبة لغير سكينة .

* * *

ان مما يجب ذكره : ان طابع الملاحظة النقدية هذه يشبه طابع الملاحظات التي سبق عرضها .. فهي تحمل رائحتها وطعمها ، لذا فأني لا أرتاب في صحتها ولا أشك في نسبتها الى السيدة سكينة .

ومما لا غبار عليه ان ملاحظة السيدة سكينة تتعلق بالمعنى .. فانها نبهت كثيرا الى أن ما وصف به عزة كان الى الذم أقرب منه الى المدح ، لانه عدل عن وصف رائحتها الطبيعية الى وصف رائحة المندل الذي هو عطرها ،

ولهذا فضلت قول أمرىء القيس : « وجدت بها طيبا وان لم تطيب » .. اذ انه ميز حبيبته عن بنات جنسها بشذى عطرها الطبيعي الفـــواح والذي ينعش النفوس ويحيى الارواح وبهذا قدم لنا صورة وضاءة مغرية وساحرة لتلك الحبيبة . في الوقت الذي لم يزد وصف كثير لعطر عزة في رسم شخصية متكاملة ومسيطرة الا بعد ان تتبخر بالمندل .

ولا أخال الا ان السيدة سكينة كانت تتوقع من كثير أن يصف عـزة كما وصف مالك بن اسماء الغزاري حبيبته ، اذ جعلها فريدة مميزة بجمالها وبعطرها ، فهي التي تزين الدر الذي تتزين به فيزداد جمالا وتألقا وبهـاء ، كما تطيب العطر الذي تتطيب به فيزداد طيبا وشذى فالدر هو الذي يتزين بها ويتجمل ، والعطر هو الذي يتعطر بملامستها ويتطيب . قال :

واذا الـدر زان حسـن وجـوهٍ كان للـدر حسن وجهـك زينـا
وتزيـدين طيب الطيـب طيبـا أن تسـيه أين مثلـك أينـا

ولماذا نذهب بعيدا ، فقول سكينة لسعدة بنت عبدالله بن بن سالـم حينما أرتها ابنتها الرباب وهي مثقلة بالحلي واللؤلؤ ، مشهورا ترويـه كتب الادب ، وهو[٦٤] :

« ما ألبستها اياه الا لتفضحه » .

تريد انها تفضح الحلي واللآليء لا بحقيقة حسنهن بل بقبحهن لانه أكثر جمالا وتألقا واشراقا من تلك الحلي التي لا تستطيع منافسة جمال الربـاب ولا الصمود أمامه .

ولا أدري ماذا كانت تقول السيدة سكينة للشاعر بشار بن برد لـو سمعت بيتيه الاتيين[٦٥] :

إنمـا عظـم سلمـى حبـتي قصب السـكر لا عظـم الجمـل
واذا أدنيت منهـا بصـلا غلب المسـك على ريـح البصـل

* * *

أما الملاحظة الثانية والتي ينفرد بذكرها المرزباني[٦٦] ، فهي :

« ان سكينة بنت الحسين قالت لكثير حين أنشدها قصيدته التي أولها :

أشاقك برق" آخر الليل واصب تضمنه فرش الحيا فالمسا دب
فألق واحسومى وخيم بالربى أحم الذرى ذو هيدب متراكب
اذا زعزعته الريح أرزم جانب بلا خلق منه وأومض جانب
وهبت لسُعْدى ماءه ونباته كما كل ذي ود لمن ود واهب
لتروى به سعدى ويروى صديقها ويغدق أعداء لها ومشارب

٤٢*

أتهب لها غيثا عاما جعلك الله والناس فيه أسوة !! فقال :

يا بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصفت غيثا فأحسنته وأمطرته وأنبته وأكملته ثم وهبته لها .

فقالت :

فهلا وهبت لها دنانير ودراهم . » .

* * *

فالسيدة سكينة ذاقت لذة الغنى ولذة العطاء .. مهرها مصعب بألف ألف درهم ، حتى كتب عبدالله بن همام الى عبدالله بن الزبير قائلا[٦٧] :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة من ناصح لك لا يريد خداعا
. . . . الفتاة بألف ألف كامل وتبيت سادات الجنود جياعا
فلو لابي حفص أقول مقالتي وأبث ما أبثثكم لارتاعا

وهي التي رمت بخاتمها مكان الحصاة السابعة التي سقطت من يدها وهي ترمي الجمار[٦٨] . فسكينة تعرف أثر الهدية في نفس المرأة ..

والا ما القيمة المادية والمعنوية للغيمة التي وهبها كثير لعزة ؟! وما الفائدة الخاصة التي تكسبها عزة من تلك الهدية الخيالية العامة التي جاد في نسجها وأحسن في صنعها كثير ثم منحها لعزة ولصديقها ومن حولها من أحباب وأعداء .. يا للتضحية !! ويا للتسامي الاخلاقي !!

ان هدية كثير هذه تشبه القلادة الوهمية التي صاغها الاخر من قمر السماء ونجومها ثم وضعها في جيد حبيبته ، فقال :

« يا نجوم صيرن گلايد يا گمر للحلو شذرة »

ان ملاحظة سكينة هذه تنبيء عن بخل كثير من طرف خفي .

* * *

وهكذا فقد عنيت السيدة سكينة الاديبة الناقدة الذواقة بدراسة الشعر العربي وحفظه حتى استطاعت أن تتبوأ مكانة أدبية رفيعة مما دفعت الشعراء وشجعتهم على زيارتها والاستماع الى ملاحظتها النقدية البناءة والتي تدل على سعة ثقافتها وعمقها ، وعلى مهارتها في تصيد تلك الملاحظات ودقة فهمها لها مما تستدعي الاعجاب ...

هذه الملاحظات تمثل مرحلة من مراحل التطور البلاغي والنقدي يومذاك .. ونعدها نحن اليوم البذور الاولى للنظريات النقدية المعاصرة في تراثنا العربي الاسلامي .

« ربنا افرغ علينا صبرا انك أنت السميع العليم » .

* * *

١ من شهر كانون الاول ١٩٧٨ .

الهوامش

(١) اسم سكينة ، آمنة ، وقيل : أمينة . وقيل : اميمة . وسكينة لقب . | الاغاني : ١٦\١٤١ | امها الرّباب بنت امرىء القيس بن عدي بن اوس ، كانت من خيار النساء وافضلهن ، وكانت شاعرة. نشأت سكينة في حضن الرباب فارتضعت منها المثل العالية . والاخلاق السامية ، وشهدت معها فاجعة كربلاء في التاسع من شهر محرم عام ٦١ هجرية ، وسُبيت مع راس الحسين ـ عليه السلام ـ إلى الشام . تزوّج مصعب بن الزبير سكينة ، وكان اجلّ الناس ، واسخى الناس ، واشجع الناس يومذاك . أحبت سكينة مصعبا ولم تفصح عنه إلا ساعة دخل عليها ليودعها قبل الخروج لقتال عبدالملك بن مروان ، فصاحت من خلفه : « واحزناه عليك يا مصعب » فالتفت إليها وقال : اوكل هذا لي في قلبك ؟! » ، قالت : « اي والله ! وما كنت أخفي أكثر . »

ولمّا رثته قالت :

فان تقتلوه تقتلوا الماجد الذي ... يرى الموت إلا بالسيوف راحما

وقبلك ماخاض الحسين منية ... إلى السيف حتى اوردوه حماما

البيتان في « نساء شهيرات ورقة : ٧٢ » .

عادت سكينة ومعها إبنتها الرباب من مصعب . أمّا بخصوص زواجها الثاني اوالثالث بعد مصعب ، فقد اختلفت فيه الروايات وتضاربت وتشعبت . وقد تناولت تلك الأخبار السيدة الجليلة الدكتورة بنت الشاطيء في كتاب « سكينة بنت الحسين » فناقشتها مناقشة علمية لم تترك مجالا لباحث للخوض فيها ثانية . وحذا حذوها الأستاذ الفاضل توفيق الفكيكي في كتابه « سكينة بنت الحسين » . كانت وفاة سكينة في عام ١١٧ هجرية.

(٢) عيون الأخبار : ٤\٢٥ .

(٣) ج ١٦ ص ١٤٣ .

(٤) وفيات الأعيان : ٢\١٣١ ، رقم (٢٥٤) .

(٥) يذكر ابنُ قتيبة الدينوري في الشعر والشعراء : ٧٧ [انها قالت لامرىء القيس] :
علقمة اشعر منك .
قال : وكيف ذاك ؟!
قالت : لأنكَ قلت :
فللسوط ألهوبٌ ،وللساق درّةٌ وللزجرِ منه وقعُ أحوج منهذبِ
فجهدتَ فرسك بسوطك ، ومريته بساقك ، وقالَ علقمةُ :
فأدركهن ثانياً من عنانه يَمُرُّ كمرّ الرائح المتحلّبِ
فأدرك طريدته وهو ثانٍ من عنان فرسه ، لم يضربْه بسوط ، أو مراه بساق ولا زجره .
فغضب امرؤ القيس وطلقها فخلفه عليها علقمة .

(٦) الخبر في الموشح : ١٦٦ ـ ١١٧ ، الأغاني : ١٦\١٦١ ـ ١٦٣ ، نساء شهيرات ورقة : ٧٤ ، مع اختلافات كثيرة ، وزيادة ونقصان.

(٧) عيطبول : المرأة الفتية الجميلة الممتلئة والطويلة العنق .

(٨) البيتان من قصيدة تجدها في ديوانه وفي شرح ديوان الفرزدق : ٢ \ ٧١٤ .

(٩) الابيات من قصيدة في ديوانه ص : ٣٦١ ، عدتها تسعة واربعون بيتاً . ومطلعها :
ألا من لشوقٍ أنت بالليل ذاكرُهْ وإنسان عينٍ ما يغمّضُ عائرُهْ

(١٠) الموشح ص : ١٦٨ .

(١١) الأغاني : ١٦\١٦٧ ـ وفيات الأعيان ٥\١٤٠ ـ ١٤٣ .

(١٢) نقائض جرير والفرزدق : ١\٣٩٥ .

(١٣) المصدر السابق : ١\٣٩٧ .

(١٤) الابيات من قصيدة في شرح ديوان جرير ص : ٤٤٣ ، مطلعها :
لمن الديارُ كأنّها لم تحلل بين الكناسِ وبين طلحِ الأعزَلِ

(١٥) وفيات الأعيان : ١\٢٨٨ .

(١٦) الصناعتين ص : ٣٣ .

(١٧) الأبيات في شرح ديوان جرير ص : ٥٥١ .
تجري السّواكَ على أغرَّ كأنّه برَدٌ تحدرَ من متونِ غمامِ
لوْ كانَ عهدكِ كالذي حدثتنا لو صلتِ ذاكَ فكانَ غيرَ رمامِ
إني أواصلُ منْ أردتُ وِصالهُ بحبالِ لا صلفٍ ولا لوّامِ

(١٩) راجع الأغاني : ١٦\١٩٦٩ .

(٢٠) الصناعتين ص : ٢٤ .

(٢١) البيت في الكامل : ٢\١٣ .

(٢٢) سر الفصاحة ص : ٢٥٣ .

(٢٣) الموشح ص : ١٢٦ .

(٢٤) الأبيات من قصيدة أولها :

خليلي هذا ربعُ عزّةَ فاعقلا فلوصيكما ثم ابكيا حيثُ حلت

(٢٥) جاء في الأمالي : ٢\١٠٩ : قيل لكثيّر : انت اشعر ام جميل ؟
فقال : بل انا .
فقيل له : اتقولُ هذا وانت راويته ؟
فقال : جميل الذي يقول :

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغرّ من أنيابها بالقوادح

وانا اقولُ :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامرٍ لعزّةَ من أعراضنا ما أستحلت

(٢٦) إن رواية الموشح ص : ١٦٨ اتم للمعنى وهي :

واعجبني ياعزُ منك مع الصبا خلائقُ صدقٍ فيك ياعزُ اربعُ
دنوكِ حتى يذكرَ الداهلُ الصبا
ودفعك اسبابَ الهوى حين يطمعُ
وإنك لا تدرين دنيا مطلتـــه
أيشتدُ من جرّاكِ او يتصدعُ
ومنهن إكرامُ الكريم وهفوة الـ
ـلئيم ، وخلاتُ المكارم تنفعُ
ادمتِ لنا بالبخلِ منكِ ضريبةً
فليتك ذا لونين يعطي ويمنعُ

(٢٧) الصناعتين ص : ٧٦ .

(٢٨) الموشح ص : ١٢٧ .

(٢٩) لم اعثر على الأبيات هذه في ديوانه تحقيق الدكتور حسين نصار .

(٣٠) الأبيات في ديوانه تحقيق فوزي عطوي ، ص : ٢٢ ، مع اختلافات وتقديم وتأخير .

(٣١) البيت في ديوان جميل تحقيق الدكتور حسين نصار ص : ١٩٣ ، وفيه (كلامها) مكان (مكانها) وهو الصواب .

(٣٢) الأغاني : ٨\١٠٥ .

(٣٣) الموشح ص : ٩١ .

(٣٤) الموشح ص : ٢٠٠ .

(٣٥) الصناعتين ص : ٧٦ ، عيار الشعر : ٩١ ، الديوان : ٩٩ .

(٣٦) عيار الشعر : ٩١ ـ ٩٢ .

(٣٧) المصدر السابق .

(٣٨) نقائض جرير والفرزدق : ٢\٨٥٤ ـ ٦٠٠ ، مطلع القصيدة :

عرفت بأعشاش وما كِدْتَ تَعْرِفُ
وأنكرتَ من حدراءَ ماكُنْتَ تَعْرِفُ

(٣٩) العَرْ ـ بالفتح ـ : الجرب . والعُرْ ـ بضم العين ـ قرح ليس بالجرب .

(٤٠) القراف : المخالطة .

(٤١) المساعر : أصولُ الفخذين والإبطين ، وهي أول ما يستعرُ فيها الجرب .

(٤٢) الأخشف : يابس الجلد من الجرب .

(٤٣) الريط : ثيابٌ تعمل جيدة حسنة .

(٤٤) القرقف : السُلافة وهي الخمرة . وانما سميت الخمرُ قرقفة لأنَّ مَنْ شربها قرقفته فادارته واسكرته فهو مُدوَّخٌ من السُكر .

(٤٥) نساء شهيرات ورقة : ٧٦ .

(٤٦) اسمه يحيى بن مالك بن الليثي الكناني . وأذينة لقبه . ويكنى عروة أبا عامر . وهو شاعر غزلٌ من شعراء أهل المدينة . وفقيه ومحدّث . روى عنه مالك بن انس وآخرون . راجع ترجمته في كتاب « شعر عروة بن اذينة » للدكتور يحيى الجبوري .

(٤٧) الأغاني : ١٨\٣٢٨ .

(٤٨) وفيات الأعيان : رقم [٢٥٤] جـ ٢ ص ١٣١ .

(٤٩) نساء شهيرات ، ورقة : ٧٣ .

(٥٠) العقد الفريد : ٦\١٦ .

(٥١) الاغاني : ١٨\٣٣٤ . وورد الخبـل كذلك في وفيـات الأعيان : ٢\١٣١ ـ ١٣٢ ، والكامل : ١\٣٨٩ .

(٥٢) (الأسَيد) : تصغير الأسود .

(٥٣) العقد الفريد : ٥\٤٨ .

(٥٤) العقد الفريد : ٥\٣٧٣ .

(٥٥) الجثجاث : ريحانة طيبة الريح برية من احرار البقل .

(٥٦) العرار : البهار البري ، وهو حسن الصفرة ، طيّب الريح .

(٥٧) موهنا : بعد هدء . يقال : أتانا بعد هدءٍ من الليل ، وبعد وهنٍ أي بعد دخولنا في الليل .

(٥٨) المندل : العود الطيّب الرائحة .

(٥٩) الصناعتين ص : ٩٧ .

(٦٠) الكامل في اللغة والادب : ٢\٩٢ ـ ٩٣ .

(٦١) المستظرف في كل فن مستظرف : ١\٥٥ .

(٦٢) وفيات الأعيان : ٣\٢٦٨ .

(٦٣) الموشح ، ص : ٢٢٠ .

(٦٤) الأغاني : ١٦\١٥٠ ، عيون الاخبار : ٤\٢٥ .

(٦٥) الصناعتين ص : ١١٦ .

(٦٦) الموشح ص : ١٥٥ .

(٦٧) الأغاني : ١٦\١٥٥ ، اللطائف ص : ٧٩ .

(٦٨) الأغاني : ١٦\١٥٩ .

ثبت المراجع والمصادر

١ ـ الاغاني : لأبي فرج الاصبهاني ـ مصور عن طبعة دار الكتب ـ القاهرة .

٢ ـ الامالي : لابي علي القالي ـ دار الفكر .

٣ ـ ديوان جميل : جمع وتحقيق وشرح دكتور حسين نصار ـ دار مصر للطباعة .

٤ ـ ديوان جميل : حققه وقدم له فوزي عطوي ـ الطبعة الاولى ـ بيروت ١٩٦٩ .

٥ ـ ذيل الآمالي والنوادر : لابي علي القالي ـ دار الفكر .

٦ ـ سر الفصاحة : لابن سنان الخفاجي ـ شرح وتصحيح عبدالمتعال الصعيدي ـ ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ـ مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر .

٧ ـ سكينة بنت الحسين : توفيق الفكيكي ـ حديث الشهر ـ مطبعة الزهراء النجف ١٣٦٩ـ١٩٥٠ .

٨ ـ سكينة بنت الحسين : بنت الشاطيء ـ كتاب الهلال ـ العدد ٩٢ ، ١٣٧٨ـ١٩٥٨ .

٩ ـ شرح ديوان جرير : محمد اسماعيل الصاوي .

١٠ـ شرح ديوان الفرزدق : عبدالله اسماعيل الصاوي ـ الطبعة الاولى ١٣٥٤ـ١٩٣٦ .

١١ـ شعر عروة بن أذينة : الدكتور يحيى الجبوري ـ مطابع التعاونية اللبنانية ١٣٩٠ـ١٩٧٠ .

١٢ـ كتاب الصناعتين : الكتاب والشعر : لابي هلال العسكري ـ الطبعة الاولى ١٣٧١ـ١٩٥٢ ـ دار احياء الكتب العربية ـ مصر .

١٣ـ العقد للفريد : لابن عبد ربه الاندلسي ـ شرحه وضبطه أحمد أمين وأحمد الزين ، وابراهيم الابياري ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٣٧٢ـ١٩٥٢ .

١٤ـ الكامل في اللغة والادب : للمبرد ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ بلا تاريخ.

١٥ـ لطائف المعارف : الثعالبي ـ تحقيق ابراهيم الابياري ، وحسن كامل الصيرفي ـ دار احياء الكتب العربية ١٣٧٩ـ١٩٦٠ .

١٦ـ المستطرف في كل فن مستظرف : للابشيهي ـ مطبعة عبدالحميد أحمد حنفي بمصر ١٣٦٨هـ .

١٧ـ الموشح : للمرزباني ـ عنيت بنشره جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة المطبعة السلفية ـ ١٣٤٣ هـ .

١٨ـ معجم الشعراء : للمرزباني ـ تحقيق عبدالستار أحمد فراج ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م .

١٩ـ نقائض جرير والفرزدق : انتوني أشلي بيفان ـ طبعة ليدن ـ بريل ١٩٠٨ـ١٩٠٩ .

٢٠ـ نساء شهيرات : للمعافري ـ مخطوطة .. انتهينا من تحقيقها .

٢١ـ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان : لابن خلكان ـ حققه محمد محيي‌الدين عبدالحميد ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٧ـ١٩٤٩ .